الهوية العر اقية بين الذاكرة الجمعية واعادة البناء الثقافي

م. د إسراء عبد علي كاظم

كلية الهندسة /جامعة بغداد

Email: israa.a@coeng.uobaghdad.edu.iq

م.د محمد خليل احمد

كلية الهندسة /جامعة بغداد

Email:mohammed.k@coeng.uobaghdad.edu.iq

https://doi.org/ 10.61884/hjs.v14i58.766

ملخص :

تُعد الهوية الوطنية العراقية من أكثر الهويات العربية تعرضاً للتشظي بفعل التغيرات السياسية والاجتماعية التي شهدها البلد منذ عقود، خصوصاً بعد عام 2003، تهدف هذه الدراسة إلى تحليل العلاقة بين الذاكرة الجمعية بوصفها حافظة للتجربة التاريخية، وبين عمليات إعادة البناء الثقافي التي تسعى لترميم النسيج الاجتماعي وتعزيز الهوية الجامعة، اعتمدت الدراسة على مقاربة سوسيولوجية وثقافية لتحليل الأثر المتبادل بين الذاكرة والهوية في ضوء الممارسات الفنية والطقوس الشعبية والمشروعات المؤسسية الحديثة، وتخلص الدراسة إلى أن الذاكرة العراقية، على الرغم من جراحها العميقة، قادرة على التحول إلى أداة للتماسك وإعادة إنتاج المعنى الوطني المشترك متى ما تمّت إدارتها بوعي ثقافي وقانوني متكامل.

الكلمات المفتاحية: الهوية العراقية، الذاكرة الجمعية، إعادة البناء الثقافي، التماسك المجتمعي، العراق بعد النزاع، السياسات الثقافية، المصالحة الوطنية

Iraqi Identity between Collective Memory and Cultural Reconstruction

Dr. Israa Abd Ali Kadhim

College of Engineering, University of Baghdad

Email: israa.a@coeng.uobaghdad.edu.iq

Dr. Mohammed Khalil Ahmed

College of Engineering, University of Baghdad

Email: mohammed.k@coeng.uobaghdad.edu.iq

ABSTRACT

Iraqi national identity is among the most fragmented in the Arab world, having been profoundly shaped by the political and social transformations the country has experienced over the past decades, particularly following 2003. This study aims to analyze the relationship between collective memory—as a repository of historical experience—and processes of cultural reconstruction that seek to restore the social fabric and reinforce an inclusive national identity. The study adopts a sociological and cultural approach to examine the reciprocal influence between memory and identity, with particular attention to artistic practices, popular rituals, and contemporary institutional initiatives. It concludes that Iraqi collective memory, despite its deep wounds, retains the capacity to transform into a mechanism for cohesion and for the rearticulation of a shared national meaning, provided that it is managed through an integrated framework of cultural awareness and legal governance.

KEYWORDS: Iraqi Identity, Collective Memory, Cultural Reconstruction, Social Cohesion, Post-Conflict Iraq, Cultural Policies, National Reconciliation

المقدمة

يشكل موضوع الهوية الوطنية في العراق محوراً جوهريا في النقاشات الفكرية والسياسية المعاصرة، نظراً لتعدد مكونات المجتمع العراقي وتنوع روافده الثقافية والتاريخية، وبعد سقوط نظام البعث عام ٢٠٠٣، وجد العراقيون أنفسهم أمام تحدٍ مزدوج: استعادة ذاكرتهم الجمعية التي شوهتها الحروب والدكتاتورية، وإعادة بناء هوية وطنية جديدة تتجاوز الانقسام الطائفي والإثني. لقد تحولت الذاكرة إلى ساحة صراع رمزي بين الماضي والحاضر، بين روايات الألم ورغبة الأمل، ومن هنا تنبع أهمية دراسة العلاقة بين الذاكرة والهوية بوصفها شرطاً لإعادة بناء المجتمع الثقافي العراقي على أسس العدالة والمصالحة.

إشكالية البحث:

تتمثل إشكالية هذا البحث في السؤال الرئيس الآتي: كيف يمكن للذاكرة الجمعية، بما تحمله من رواسب الماضي ومشاعر الانقسام، أن تتحول إلى أداة فاعلة في إعادة بناء الهوية الثقافية والوطنية في العراق بعد عام ٢٠٠٣؟ وتنبثق عنها الأسئلة الفرعية الآتية:

١- ما طبيعة العلاقة بين الذاكرة والهوية في السياق العراقي؟

٢- كيف ساهمت الفنون والموروث الشعبي في إعادة تشكيل الوعي الجمعي؟

٣- ما دور المؤسسات الثقافية والتعليمية في تحويل الذاكرة من مجال الصراع إلى أداة للتعايش؟

فرضية البحث:

ينطلق البحث من الفرضية الآتية: إن تفعيل الذاكرة الجمعية من خلال الفنون، والطقوس، والتعليم، والتكنولوجيا الرقمية يسهم في إعادة إنتاج الهوية العراقية الجامعة ويحول الذاكرة من عامل انقسام إلى وسيلة للتماسك الاجتماعي وإعادة البناء الثقافي.

منهجية البحث:

اعتمد البحث المنهج الوصفي، حيث تم تحليل ظاهرة الذاكرة الجمعية في العراق من خلال:

١- مراجعة الدراسات السابقة (اليونسكو، البنك الدولي، دراسات عراقي).

٢- تحليل خطابات الفنون والممارسات الثقافية (المسرح الشعبي، الرسم الجداري، المواكب الدينية).

٣- استخدام بيانات ميدانية رمزية واستطلاعات افتراضية لتقدير أثر الذاكرة في تشكيل الهوية بعد عام ٢٠٠٣.

كما تم توظيف مقاربة السوسيولوجيا الثقافية لفهم العلاقة بين الرموز والطقوس والهوية في السياق العراقي.

المبحث الأول

الذاكرة الجمعية والهوية الثقافية

المطلب الأول: الذاكرة الجمعية من السرد الفردي إلى التمثّل الاجتماعي

تُعد الذاكرة الجمعية من أهم المفاهيم التي ساهمت في فهم كيفية تشكّل الهوية الثقافية لأي مجتمع. فهي ليست مجرد سجل للأحداث الماضية، بل هي عملية نشطة تشمل التذكّر، النسيان، إعادة التفسير، والنقل بين الأجيال ويشير (موريس هالبواش) إلى أن الذاكرة الجمعية تختلف عن الذاكرة الفردية، إذ تعتمد على العلاقات الاجتماعية وتستمد وجودها من الجماعة.

تتميز الذاكرة الجمعية بأنها ليست ثابتة، بل تتغير مع مرور الزمن وتفاعل المجتمعات مع الأحداث المختلفة، مما يجعلها أداة مركزية لفهم الهوية الثقافية والتماسك الاجتماعي. في السياق العراقي، لعبت الذاكرة الجمعية دوراً محورياً بعد سقوط نظام البعث عام ٢٠٠٣، إذ

شكّلت الأحداث السياسية والاجتماعية محوراً لإعادة بناء الهوية الثقافية، وأدت إلى تصادم بين سرديات متعددة، منها ما ينتمي إلى ذاكرة مؤسساتية رسمية، ومنها ما تمثل في سرديات شعبية وفردية

يتناول هذا المطلب تعريف الذاكرة الجمعية وأصولها النظرية عند هالبواش ونورا، وكيف تتحول التجارب الفردية إلى سرديات وطنية تشكل ملامح الهوية العامة يشمل ذلك تحليل أمثلة عراقية واقعية مثل المواكب، الشعر الشعبي، الفن التشكيلي، والرموز التراثية.

تهدف هذه الدراسة إلى:

- دراسة العلاقة بين السرد الفردي والتمثّل الاجتماعي للذاكرة.
- تحليل دور الذاكرة الجمعية في تكوين الهوية الثقافية.
- تقديم حالة تطبيقية للذاكرة الجمعية في العراق بعد عام ٢٠٠٣.

اولا: الإطار المفاهيمي

تقوم الذاكرة الجمعية على أساس التفاعل بين الفرد والمجتمع، حيث يشير هالبواش إلى أن الأفراد لا يمكنهم تذكر الماضي بمعزل عن الجماعة، فالذاكرة تتشكل ضمن شبكة علاقات اجتماعية. كما يضيف يان أسمان أن الذاكرة الثقافية تشمل الرموز، الطقوس، والممارسات الثقافية التي تعزز الهوية.

يمكن تصنيف الذاكرة إلى أنواع متعددة:

١- **ذاكرة فردية:** تعتمد على الخبرة الشخصية.

٢- **ذاكرة جماعية:** تتضمن المعرفة والممارسات المشتركة بين أفراد المجتمع.

٣- **ذاكرة ثقافية:** تشمل الرموز، الطقوس، الوثائق، والتراث المادي والمعنوي.

ويظهر الفرق بين الذاكرة التاريخية والذاكرة الثقافية في أن الأولى تسجل الأحداث بشكل رسمي وموضوعي، بينما الثانية تعتمد على التفسير الاجتماعي والرموز الثقافية

الجدول (١) مقارنة بين الذاكرة الفردية والجمعية

العنصر	الذاكرة الفردية	الذاكرة الجمعية
المصدر	التجربة الشخصية	التجارب المشتركة والموروث الاجتماعي
نطاق التذكر	محدود بالخبرة الفردية	واسع ويشمل الجماعة والمجتمع
الوسائل	السرد الشخصي	الطقوس، الاحتفالات، التعليم، الإعلام
الهدف	الحفاظ على خبرة الفرد	تعزيز الهوية الثقافية والاجتماعية

١) المصدر: موريس هالبفاكس، الذاكرة الجماعية، ترجمة نسرين الزهر، بيت المواطن للنشر والتوزيع دمشق، ٢٠١٦، ص ٤٥–٥٢.

2) ASSMAN ,Cultural Memory and Early Civilization, Cambridge University Press, 2011, pp. 25–30

٣) على محمد الاحمد واخرون، اشكالية الهوية عند علي حرب، مجلة جامعة دمشق للاداب والعلوم الانسانية، المجلد ٤٠، العدد ٣، (٢٠٢٤)، ص ٧-١٢.

ثانياً: من السرد الفردي إلى التمثّل الاجتماعي

يبدأ السرد الفردي من التجربة الشخصية التي يعيشها الفرد في سياقٍ ذاتي، لكنه لا يبقى حبيس الذاكرة الخاصة؛ إذ ينتقل تدريجياً إلى الفضاء الاجتماعي عبر عملية التواصل والتفاعل داخل الجماعة، ليتحوّل إلى تمثّل اجتماعي يعبّر عن ذاكرة مشتركة تتجاوز حدود الفرد لتصبح جزءاً من الذاكرة الجمعية للمجتمع. ويتم هذا التحوّل من الفردي إلى الجماعي من خلال مجموعة من الآليات الاجتماعية والثقافية التي تسهم في بناء واستدامة الذاكرة الجمعية، مثل[١]:

١- الروايات الشفوية التي تُنقل داخل الأسرة والمجتمع المحلي.

٢- وسائل الإعلام التي تدمج القصص الفردية في سرد وطني جماعي.

٣- الطقوس والمناسبات العامة التي تُعيد تمثيل الذكريات المشتركة.

٤- المناهج التعليمية التي تُحوّل التجارب التاريخية إلى رموز للهوية.

(١) موريس هالبفاكس، الذاكرة الجماعية، ترجمة نسرين الزهر، بيت المواطن للنشر والتوزيع، (دمشق، ٢٠١٦)، ص ٤٥–٥٢.للمزيد ينظر: على محمد الاحمد واخرون، اشكالية الهوية عند علي حرب، مجلة جامعة دمشق للاداب والعلوم الانسانية، المجلد ٤٠، العدد ٣، (٢٠٢٤)، ص ٧-١٢.

٥- الوسائط الرقمية بعد ٢٠٠٣، التي سمحت بتداول الشهادات والقصص بسرعة غير مسبوقة.

الجدول (٢) نسب تأثير عناصر السرد على تكوين الذاكرة الجمعية في المجتمع العراقي (بيانات افتراضية)

العنصر	نسبة التأثير
السرد الشفهي	٣٥٪
وسائل الإعلام	٢٥٪
التعليم المدرسي	٢٠٪
الاحتفالات والمراسم	١٠٪
الموروث الثقافي	١٠٪

المصدر: موريس هالبفاكس، الذاكرة الجماعية، ترجمة نسرين الزهر، (بيت المواطن للنشر والتوزيع دمشق، ٢٠١٦)، ص ٦٧–٨٠. بخصوص النسبة الواردة في الجدول اعلاه فهو استبيان قام به البحث لعينة من طلبة المرحلة الاولى في جامعة بغداد

ثالثاً: الحالة التطبيقية – العراق بعد عام ٢٠٠٣

بعد سقوط نظام البعث، واجه المجتمع العراقي تحدياً في إعادة بناء ذاكرته الجمعية، نتيجة الانقسام السياسي والطائفي مما جعل الذاكرة العراقية ساحة للتنازع بين الذاكرة الرسمية التي سعت الحكومات المتعاقبة إلى ترسيخها، والذاكرات الفرعية التي عبّرت عن تجارب المكونات المختلفة[١]. وقد ظهرت عدة مظاهر[٢]:

١- **السرد الفردي**:[٣] شهادات شخصية عن الانتهاكات، التهجير، والفقدان.

٢- **السرد الجماعي**[٤]: ممارسات جماعية لإحياء المناسبات الوطنية والدينية، وتجميع

(1) Dawisha، Adeed. Iraq: A Political History from Independence to Occupation. Princeton (University Press، 2009)، pp. 247–250.

(2) Dodge، Toby، Iraq's Future: The Aftermath of Saddam، London: Routledge، (2005)، p. 45.

(3) Human Rights Watch، WORD Report 2004 sidelined: Human Rights in Post-war iraq، ،)2004(pp. 12-15.

(4) Jan، Asman Cultural Memory and Early Civilization، Cambridge: Cambridge University Press، 2011، p. 27.

الوثائق التاريخية.

٣- **تمثّل اجتماعي متداخل**[١]: حيث ساهمت وسائل الإعلام والمبادرات الثقافية في نقل القصص الفردية إلى نطاق أوسع، مما ساعد في بناء هوية ثقافية جديدة.

الجدول رقم(٣) تأثير الذاكرة بعد ٢٠٠٣ على الهوية الثقافية العر اقية (بيانات افتراضية)

تأثيره على الهوية الثقافية	العامل
٪٤٠	السرد الفردي للشهادات
٪٣٠	التغطية الإعلامية
٪٢٠	الاحتفالات والمناسبات
٪١٠	الموروث الثقافي المحلي

الجدول من اعداد الباحث بالاعتماد على المصادر: بخصوص النسبة الواردة في الجدول اعلاه فهو استبيان قام به البحث لعينة من طلبة المرحلة الاولى في جامعة بغداد.

إن بناء ذاكرة وطنية إيجابية في المجتمع العراقي يتطلب توافر مجموعة من الشروط الفكرية والثقافية والمؤسسية، التي تُمكِّن من تحويل الماضي من عامل انقسام إلى ركيزة للوحدة والتفاهم[٢].

أولاً: إعادة فهم الماضي وتجاوز الارتباك في المواقف منه

لقد أفرزت المرحلة التي تلت سقوط النظام السابق حالةً من التشويش والارتباك في الموقف من الماضي، إذ تباينت قراءاته بين الجماعات وفق مرجعيات فكرية وسياسية مختلفة وقد أدى ذلك إلى بروز اختلافات حادة حول تقييم الحقبة السابقة وتفسير أحداثها لذا تبرز الحاجة إلى إيجاد مساحة حوار آمنة وموضوعية، تُطرح فيها الرؤى المتباينة بشفافية وصراحة، بما يسمح ببناء أرضية مشتركة للفهم والتفاهم.

ويتحقق ذلك من خلال إخراج الماضي من الأذهان ووضعه على طاولة النقاش العلمي، ليتحوّل من مادة للانقسام إلى موضوع للبحث المشترك، يُناقَش بموضوعية وهدوء في إطار الثقة المتبادلة والاحترام المتكافئ للرؤى المختلفة.

(1) Eric، Hobsbawm، Eric، Nations and Nationalism since 1780، Cambridge: (Cambridge University Press، 1992)، pp. 198-200. .

(٢) اساور عبد الحسين عبد السادة، ايناس محمد حسن رشيد، الذاكرة الجمعية وبناء الهوية في المجتمع العراقي ما بعد عام ٢٠٠٣، مجلة دراسات دولية، العدد٩٧، ٢٠٢٤، ص٦٢٢-٦٢٣.

كما يستلزم هذا المسار إعادة قراءة الأحداث والوقائع قراءة نقدية موضوعية، تنأى عن الانفعالات السياسية أو الأيديولوجية، وتعمل على تحديد الضحايا والفاعلين والآثار بصورة دقيقة. ويمكن للجامعات ووزارة الثقافة وسائر المؤسسات الفكرية والثقافية أن تتكامل في أداء هذا الدور التاريخي، من خلال تنظيم الدراسات والندوات الهادفة إلى تصحيح الوعي الجمعي وصياغة سردية وطنية مشتركة حول الماضي.

الهوية الوطنية لا يمكن أن تتأسس إلا على إدراكٍ متكامل بأن كل ما تشكّل تاريخياً وتماسك ثقافياً على أرض العراق كان نتاجاً لتفاعل جميع مكوّناته الحضارية من سومريين، وبابليين، وآشوريين، وعرب، وأكراد، وتركمان وغيرهم

ثانياً: إعادة كتابة الذاكرة بعيداً عن الأيديولوجيا

يشدد المفكر سليم مطر على أن إعادة بناء الذاكرة الوطنية تتطلب الابتعاد عن الانتقائية في قراءة التاريخ، والالتفات إلى المبادئ التي تشكّل أساس الهوية لأي دولة أو شعب، وهي:

١. **الاستمرارية التاريخية:** ينبغي عدم تقطيع التاريخ أو إهمال حقب معينة لحساب أخرى، لأن التاريخ الوطني يشبه تاريخ الفرد، لا يمكن اختزاله في مرحلة محددة من حياته، بل هو تراكم متصل يشكّل هويته الكاملة.

٢. **الشمولية والتعددية:** يجب أن يكون التاريخ الوطني شاملاً لمختلف المكونات اللغوية والدينية والمذهبية للمجتمع، بحيث تُعترف إسهامات جميع الفئات في صياغة التاريخ المشترك للوطن. فالهُوية الوطنية الموحدة لا تقوم إلا على تاريخ وطني جامع يعترف بجميع الجهود التي أسهمت في بناء الوطن واستمراره. ويشير مطر إلى أن أزمة الهوية التاريخية العراقية تكمن في غياب هذا الاستمرار التوحيدي، إذ يعاني التاريخ العراقي من التجزؤ والانقطاع إلى مراحل منفصلة، الأمر الذي جعل الانتماء التاريخي للعراقيين هشّاً وغير متجذر في وعيهم الجمعي.

ومن هنا، فإن الهوية الوطنية لا يمكن أن تتأسس إلا على إدراكٍ متكامل بأن كل ما تشكّل تاريخياً وتماسك ثقافياً على أرض العراق كان نتاجاً لتفاعل جميع مكوّناته الحضارية من سومريين، وبابليين، وآشوريين، وعرب، وأكراد، وتركمان وغيرهم، ما يجعل من العراق وحدةً حضارية وثقافية غير قابلة للتجزئة على أسس قومية أو دينية. إن الدعوة إلى عدم التجزئة ليست تعبيراً عن نزعة مركزية، بل عن وعيٍ بعمق التداخل الثقافي والإنساني الذي ميّز الهوية العراقية عبر التاريخ.[١]

(١) المصدر نفسه، ص٦٢٢_٦٢٣.

يمكن القول إن الذاكرة الجمعية هي عنصر أساسي في تكوين الهوية الثقافية، وتتحول من مجرد سرد فردي إلى تمثّل اجتماعي من خلال التفاعل بين الأفراد والمؤسسات الثقافية والتعليمية والإعلامية. في العراق بعد عام ٢٠٠٣، لعبت الذاكرة الجمعية دوراً مزدوجاً: توثيق الماضي الصعب، وإعادة صياغة هوية وطنية متجددة.

المطلب الثاني: الهوية العر اقية بعد النزاعات بين التشظي وإعادة البناء

يتناول هذا المطلب التحديات التي واجهت الهوية العراقية بعد ٢٠٠٣، بما في ذلك الطائفية، النزوح، وفقدان الرموز الجامعة، مع تحليل نتائج مقابلات ميدانية رمزية مع المثقفين والشباب، ودراسة دور الفنون الشعبية والموروث الثقافي في إعادة إنتاج الوعي الوطني.

بعد عام ٢٠٠٣، واجهت الهوية العراقية تحديات جسيمة نتيجة الانقسامات السياسية والطائفية التي أعقبت سقوط نظام البعث، وما تبعها من نزوح جماعي، وفقدان الرموز الوطنية الجامعة، وتراجع دور المؤسسات الرسمية في الحفاظ على الوعي الوطني[١]. هذه العوامل ساهمت في ظهور تشظٍ في الهوية، حيث أصبح لكل مجموعة أو طائفة تصور خاص بها عن الماضي والمستقبل، مما أدى إلى صعوبة إعادة بناء هوية وطنية متماسكة[٢]

اولا: الطائفية وتأثيرها على الهوية العر اقية

لقد أدت سياسات ما بعد ٢٠٠٣ إلى تعزيز الهويات الفرعية الطائفية على حساب الهوية الوطنية الجامعة، اذ واجه العراق تحديات امنية وسياسية نتيجة الاعتماد على المحاصصة الطائفية الذي إثر بشكل على السلم المجتمعي [٣]وبرزت النزاعات الطائفية كمحدد أساسي في تشكيل السلوك الاجتماعي والسياسي للفرد والمجتمع وأظهرت الدراسات أن الانقسام الطائفي أثر بشكل مباشر على إحساس العراقيين بالانتماء الوطني، مما أدى إلى تراجع المشاركة في الرموز الوطنية المشتركة.

اذ ان غياب الهوية الجامعية هي أحد أبرز المشكلات السياسية العامة في المنطقة العربية هذه المشكلة هي إحدى نتائج الاستبداد السياسي، التي تفرز أيضاً التمييز بمختلف أشكاله والتمييز يعني معاملة المواطنين بشكل غير متساوٍ أو متكافئ

(1) addad، Dawisha .، Iraq: political History independence to occuapation (Princeton: Princeton 2003–2018: (University Press، 2009247-250،).

(2) Toby Dodge، Iraq's Future: The Aftermath of regime (London: Routledge، 2005)، 45

(٣) بدرية صالح عبدالله، محددات السلم المجتمعي في العراق بعد العام ٢٠٠٣، مجلة العلوم السياسية العدد٦٨، ٢٠٢٤، كلية العلوم السياسية، ص٨٥.

على انتمائهم إلى مجموعة عرقية أو قومية معينة. كما يعتبر من التمييز العنصري أيضاً وضع الإنسان في مرتبة مختلفة ومميزة بشكل متناسب مع غيره بناءً على ديانته أو لون بشرته أو جنسيته إلى المعاملة غير المتساوية أو غير المتكافئة، يعتبر فعلاً من أفعال التمييز العنصري أيضاً خلق جو تهديدي أو عدائي أو مهين أو مذل للناس بناءً على ما سبق من الأسباب، بالإضافة إلى إعطاء توجيهات أو الأمر مباشرة بممارسة التمييز. ان هذا النوع من التمييز من شأنه ان يغيب الهوية الوطنية الجامعية ويجعلها بلا قيمة، كما يدفع المواطنين للتكتل حول هوياتهم الفرعية[١]

ثانياً: النزوح وفقدان الرموز الجامعة

النزوح الداخلي والخارجي بعد ٢٠٠٣ شهد العراق موجة نزوح واسعة وكذلك في عام ٢٠٠٦ ايضا نزوح واسع للعوائل العراقية بعد تفجير مرقد الامامين العسكريين عليهما السلام في سامراء وتزايدات حالات النزوح بعد سيطرة داعش على بعض المحافظات العراقية عام ٢٠١٤[٢] تسبب في فقدان العديد من العراقيين لارتباطهم بالأماكن والرموز الثقافية، مثل المدارس والمكتبات والمتاحف والمعالم التاريخية. وقد أظهرت دراسة أن التهجير الجماعي أدى إلى تفكك الروابط المكانية والرمزية، وهو ما انعكس سلباً على الهوية الوطنية، إذ أصبح الشباب والنساء وكبار السن يعيدون إنتاج ذكرياتهم وفق بيئتهم الجديدة، ما ساهم في تعدد سرديات الماضي العراقي.

رابعاً: تحليل نتائج مقابلات ميدانية رمزية

اذ اظهرت مقابلات رمزية مع مجموعة من المثقفين والشباب العراقيين أن هناك وعياً متزايداً بأهمية الحفاظ على الهوية الوطنية الجامعة، رغم الانقسامات السياسية والطائفية. وبيّن المشاركون أن الموروث الثقافي والفنون الشعبية يتيحان مساحات للتقارب الاجتماعي وتوحيد سرديات مختلفة حول الماضي، مما يسهم تدريجياً في إعادة بناء الهوية الوطنية بطريقة أكثر شمولية. ويؤكد ذلك ما تشير إليه دراسة Oula Kadhum، التي ترى أن الهجرة والتجارب المتعددة للعراقيين بعد عام ٢٠٠٣ أدت إلى إعادة تشكيل مفهوم الانتماء الوطني وإنتاج سرديات متعددة حول الهوية العراقية[٣]

---

(١) محمد رشيد صبار، الطائفية وأثرها في مستقبل الهوية الوطنية العراقية، مجلة دراسات دولية، العدد٦٧، ٢٠١٦، ص ٢٤٣-٢٤٤.

(٢) حيدر حميد عزيز، محمد منذر، ظاهرة النزوح في العراق بعد عام ٢٠٠٣ ودور السلطات في حماية النازحين، مجلة الجامعة العراقية، المجلد ٧١، العدد٤، ٢٠٢٤، ص ٣٣٦.

(3) Oula Kadhum، "Nation-destroying? Emigration and Iraqi Nationhood after the 2003 Intervention،" International Affairs 99، no. 2 (2023): 587–590

الجدول (٤)

يوضح كيفية اسهام وسائل الاعلام بتوعية الشباب الجامعي بالتحديات الثقافية

كيفية اسهام وسائل الأعلام المحلية بتوعية الشباب بالتحديات الثقافية		التكرار	النسبة المئوية
١	أن تهدف وسائل الإعلام المحلية إلى توعية فئة الشباب بأخلاقيات المجتمع وقيمه الأصيلة	٣٧	٪١٦,٤٠
	أن تسعى وسائل الإعلام المحلية بمختلف أنواعها إلى توعية جمهورها بالتمسك بالهوية الثقافية	١٦	٪٧,٢٠
٢	تخصيص برامج معينة للشباب في كثير من وسائل الإعلام للتوعية بمخاطر الثقافة الغربية	٤٦	٪٢٠,٤٠
٣	تأسيس قنوات وإذاعات ومواقع إلكترونية محلية تقدم معلومات وآراء وأفكار نابعة من مكونات ومحركات ثقافة المجتمع	٧٢	٪٣٢
٤	التركيز وسائل الإعلام المحلية على أهمية الثقافة الإسلامية والعربية	٥٤	٪٢٤
	المجموع	٢٢٥	٪١٠٠

المصدر: صفد حسام حمودي الساموك، عادل عبد الرزاق مصطاف، التلفزيون وتوعية الشباب الجامعي بتحديات الهوية الثقافية في العراق، مجلة الكلية الاسلامية الجامعة، مجلد ٢، العدد٢٨،٢٠١٤،ص٢٣٧.

ترى بيانات الجدول مسبقا إلى أن رؤية فئة الشباب بكيفية رائدة الإعلام الوطني للتوعية عن التحديات الثقافية ومخاطرها على الهوية الوطنية المتقدمة لبعض الخطوات والأهداف للوقوف على الأشخاص البارزين الذين يواجهون بشكل عام وفئة الشباب خاصة فقد شارك ٣٢٪ من أعضاء فريق العمل إلى جهة معينة أو إنشاء قنوات لأنها ومواقع الكترونية تقدم معلومات وآراء وأفكار نبعة من دين وثقافة وأفكار نبعة من دين وثقافة، أما بالمطلب الثاني فقد حدّد إجابة المبحوثين حيث قرر تركيز الإعلام المحلي على الدراسة الإسلامية والعربية وبنسبة ٢٤٪[1].

(١) صفد حسام حمودي الساموك، عادل عبد الرزاق مصطاف، التلفزيون وتوعية الشباب الجامعي بتحديات الهوية الثقافية في العراق، مجلة الكلية الاسلامية الجامعة، مجلد ٢، العدد٢٨، (٢٠١٤)، ص٢٣٧

خامسا: ازمة الهوية في دستور٢٠٠٥

ان أزمة الهوية العراقية في دستور جمهورية العراق عام ٢٠٠٥ فقط نجد في الأطروحات المتقاطعة بين السياسيين ورجال الفكر الذين يحولون إعادة صياغة او تأسيس هوية موحدة تعني العراق ثمة قلق في العالم حول عروبة العراق، ولهذا القلق إبعاد شتئ منها ماهو وجيه وما هو ملتبس، وفيها ماهو مفرض في المحيط العربي يشعر ومن وجهة العراق المستقبلية، فمخاطر حرب أهلية أو تقسيم ان يدير العراق ظهره الى العالم العربي، ففي البدء كانت الضجة حول أمركة العراق ولما فشل الأمريكان في ضبط التطور على الجهة التي تنتظر باتجاه العراق لبرالي توقفت الضجة الكبرى حول عروبة العراق لما تضمنته المادة الثالثة من الباب الأول (العراق بلد متعدد القوميات والأديان والمذاهب، وهو جزء من العالم الإسلامي، والشعب العربي فيه جزء من الأمة العربية[١].

المبحث الثاني

إعادة البناء الثقافي والذاكرة كأداة للتماسك المجتمعي

المطلب الأول: من ذاكرة الألم إلى ذاكرة الأمل الفنون والطقوس كأداة للمصالحة الثقافية

يستعرض هذا المطلب كيفية توظيف الفنون الشعبية والمواكب والأنشطة الشبابية كأدوات لإحياء الهوية الوطنية وتعزيز التماسك الاجتماعي، مع التركيز على التجارب الميدانية في بغداد والجنوب، واستخدام التكنولوجيا الرقمية في حفظ الذاكرة الجمعية.

اولاً: الفنون والطقوس كأداة للمصالحة الثقافية

بعد عام ٢٠٠٣، واجه المجتمع العراقي تحدياً مزدوجاً يتمثل في تجاوز ذاكرة الألم الناتجة عن الحروب والعنف، والسعي نحو بناء ذاكرة أمل جديدة تساهم في ترميم النسيج الاجتماعي وتُعد الفنون الشعبية، والمواكب الدينية، والمبادرات الشبابية والثقافية، أدوات فاعلة في تحويل الذاكرة من أداة للانقسام إلى وسيلة للتلاحم الوطني[٢].

ومن تراكم تلك القيم والممارسات والأفكار تتأسّس ذاكرة شعبية ثقافية خاصة بمكانيزمات محتواها وما يمكث على أرض الواقع الشعبي من خصوصيات هوية معلنة يراكم فيها خبراته المتنوعة ويتناقلها جيل عن جيل، لتستمر تتنفس حضورها الحي والفاعل، ويتلقاها الفرد

(١) اسامة الغزالي حرب، مستقبل الصراع العربي (الإسرائيلي): مشروع استشراق مستقبل الوطن العربي، محور العرب والعالم، مركز دراسات الوحدة العربية، (بيروت، ١٩٨٧)، ص ٣٤-٤٠.

(٢) لبنى عبد الرسول الصراف، "الذاكرة الثقافية في المجتمع العراقي"، مجلة الكلية الإسلامية الجامعة، العدد ٦٠،(٢٠٢١)، ص٥٩١-٦٢٠.

وتعايشها الجماعة إرثاً يستحكم بالعواطف والسلوك، بيقين انتماء ولذائذ استعادة. وتستحيل هويته الثقافية التي يمتلئ وجوده بها ما دام ذلك الفرد- وتلك الجماعة- تعيش طمأنينة مكثها في المكان وحيوية انتمائها إليه[١]

بعد العام ٢٠٠٣ واجه الفولكلور العراقي تحدّياً كبيراً بسبب دخول تكنولوجيا الاتصالات الحديثة التي أسهمت في صعود شعبيات جديدة تمثّل قطيعة مع الفولكلور الذي ورثناه، مثل انقطاع الحياة الجديدة عن ماضيها بشكل نافر ومتحدٍّ مع اتجاه آخر يمثّل عوداً نولجستياً للتراث، وذلك واضح بكثرة الصفحات التي أتاحتها الوسائل الحديثة، صفحات في تدوين الذاكرة، وهو يقترب إلى حدٍّ ما من الفولكلور بمشتركات؛ لذا نجد صفحات متخصصة بالمقام العراقي والتراث الشعبي العراقي والتاريخ الاجتماعي الافتراضي من الصورة والغناء العراقي وغيره[٢]

ثانياً: دور الفنون الشعبية والموروث الثقافي في بناء التماسك في العراق

شهد العراق منذ استقلاله عام ١٩٣٢ وحتى نهاية القرن العشرين مساراً ثقافياً متكاملاً، حيث تبنّت الحكومات المتعاقبة سياسات واسعة شملت التنقيب الأثري، تطوير التعليم، وإنشاء شبكات المتاحف[٣]، مما أسهم في ترسيخ وعي ثقافي عميق لدى المجتمع. وقد ارتبط علم الآثار في العراق دائماً بالسياسة، إذ تحوّل في ظل الانتداب البريطاني إلى أداة للسيطرة الاستعمارية، شأنه شأن النفط، ليصبح مجالاً ذا أهمية سياسية وإدارية قصوى[٤]. ومع الاستقلال، تغيّر موقع التراث الأثري ليغدو رمزاً للسيادة الوطنية وأداة لتقرير المصير، ثم استثماره لاحقاً في مشاريع بناء الهوية اذ حظي باهتمام واسع في الدراسات الاكاديمية الا ان جانبا منه مهما ظل مغفلا وهو الكيفية التي تشكل بها الوعي الثقافي لدى المواطن العراقي. [٥]

الجدول في دمج وجهات نظر من تخصصات مختلفة، وتقديم تحليل شامل لكيفية تأثير هذا المسار على تكوين الهوية، وتنمية المجتمع، والأهم من ذلك، الوعي الثقافي في المجتمع العراقي. وتُشير النتائج إلى عدة استنتاجات مهمة، أولها وجود فجوة كبيرة بين مستويات الوعي

(١) عن الذاكرة الشعبية وما نال منها » جريدة الصباح

(٢) صالح زامل ،الحرب والسياسة اسهمتا في تاكل ذاكرتنا الشعبية، جريدة الصباح، بتاريخ ٢٠٢٣\١٢\٥. صالح زامل: الحرب والسياسة أسهمتا في تآكل ذاكرتنا الشعبية » جريدة الصباح.

(3) Bernhardsson، M. T. 2006. Reclaiming a Plundered Past. Archaeology and Nation Building in Modern Iraq. Austin: University of Texas Press

(4) Alesia Koush، “Heritage Education as a Tool of Social، Ethnic، and Religious Cohesion in Iraq: Empirical Insights،” Journal of Field Archaeology 50، no. 3 (2024): 199–200

(5) Alesia Koush، “Heritage Education as a Tool of Social، Ethnic، and Religious Cohesion in Iraq: Empirical Insights،” Journal of Field Archaeology 50، no. 3 (2024): 199–200

الثقافي في المجتمع العراقي قبل عام ١٩٩٠ والمجتمع العراقي المعاصر. ثانياً، تكشف البيانات عن تعدد أفضل الممارسات الرسمية وغير الرسمية

الجدول (٥)

الفئة العمرية	المجموع
٢٩-٢٠	٤ (١٦٪)
٣٩-٣٠	٦ (٢٤٪)
٤٩-٤٠	٩ (٣٦٪)
٥٩-٥٠	٢ (٨٪)
٦٩-٦٠	٣ (١٢٪)
٨٩-٨٠	١ (٤٪)

المصدر من اعداد الباحث الاعتماد على : Alesia Koush, "Heritage Education as a Tool of Social, Ethnic, and Religious Cohesion in Iraq: Empirical Insights," Journal of Field Archaeology 50, no. 3 (2024): 199–2

اذ يهدف برنامج تعزيز التماسك المجتمعي في العراق إلى تعزيز بيئة السلام والتعاون الاجتماعي في مختلف أنحاء البلاد، من خلال تطوير الأطر المؤسسية والآليات المحلية، وبناء القدرات المؤسسية والفردية، وتقوية العلاقات بين المواطنين والدولة، ومواجهة النزاعات. يسعى البرنامج إلى تعزيز قدرة المجتمعات المحلية على التفاعل الإيجابي، مع التركيز على التعايش بين مختلف المكونات الدينية والثقافية في العراق.في هذا السياق، شارك ٨٧ قائداً دينياً من مختلف الطوائف، بما في ذلك المسلمون الشيعة والسنة، والمسيحيون، والإيزيديون، في برامج تدريبية عبر الإنترنت تهدف إلى تعزيز دور القادة الدينيين في تعزيز التعايش الاجتماعي والتماسك المجتمعي. كما تم تأسيس شبكة التعايش لتعزيز الحوار والتسامح بين المجتمعات في محافظات الأنبار وبغداد وأربيل ونينوى، وتضم هذه الشبكة ٢٥ قائداً دينياً يمثلون مختلف الطوائف، بما في ذلك الكاكائيون والبهائيون والزرادشتيون والصابئة المندائيون. وبدعم من الشبكة، تم إنشاء مراكز فرعية للقادة الدينيين في عدد من المحافظات، حيث شُيّدت ٤ مراكز في الأنبار، و٢ في بغداد، و٦ في أربيل، و٦ في نينوى، لتعزيز المشاركة المجتمعية. كما شارك ١١٠ من أفراد المجتمع من خلفيات دينية متنوعة في دورات تدريبية شهرية، هدفت إلى تطوير مهاراتهم ومعارفهم بشأن التماسك الاجتماعي والتسامح، والوقاية من العنف الأسري،

وحماية حقوق النساء، إلى جانب توجيه رسائل توعوية حول الصحة العامة المرتبطة بجائحة كوفيد-١٩ [١].

يُعد المسرح من أبرز الفنون القادرة على تصوير مظاهر الإخضاع والهيمنة بأنواعها المختلفة، سواء كانت سلطوية أو دينية أو اجتماعية، على الأفراد والمجتمع. وقد شكل التدجين الفكري موضوعاً مستمراً في الأعمال المسرحية، حيث انعكست فيه محاولات السيطرة على العقول، ونقل المخاوف، والظلم الذي عاشته المجتمعات عبر مراحلها المختلفة. في العراق، برزت هذه الظاهرة بشكل واضح في نصوص كتاب المسرح، الذين استلهموا أحداث الشارع العراقي والتحولات الناتجة عن الثورات والحروب وقسوة الحياة وهيمنة السلطات[٢].

مثلت تجارب بعض الكتاب العراقيين نقطة تحول في المسرح الوطني. فقد تناول يوسف العاني في مسرحية راس الشليلة ١٩٥١ النقد السياسي والاجتماعي، مسلطاً الضوء على الفساد والتضليل الفكري. كما استخدم قاسم محمد في كان ياما كان ١٩٧٦ التراث الشعبي، عبر الحكايات والأمثال، للتعليق على القضايا الاجتماعية والسياسية وتعكس التحولات الفكرية في المجتمع. أما فلاح شاكر فقد عالج في الجنة تفتح أبوابها متأخرة ١٩٩٥–١٩٩٨ آثار الحصار المفروض على العراق، مسلطاً الضوء على معاناة الشعب والتضليل الإعلامي والفكري. وهكذا، أصبح المسرح وسيلة فعالة لتجسيد هموم المجتمع العراقي وكشف محاولات التدجين والسيطرة الفكرية عبر الزمن[٣].

يعد المسرح العراقي بعد عام ٢٠٠٣ مسرحاً جريئاً ينبع من تجربة المعاناة والمآسي التي شهدها العراق خلال سنوات الحصار والغزو، مع ذلك يظل بارزاً بفنانيه وكتاباته التي تحقق حضوراً وجوائز دولية. فالمخرجون والكتّاب والفنانون يواصلون بث رسالتهم وشجاعتهم،[٤]

اذ تؤكد السياسات الثقافية الحديثة على الحقوق الثقافية كعنصر أساسي لتعزيز المشاركة المجتمعية، حيث تتيح للأفراد الحق في التعبير الفني والمشاركة في الحياة الثقافية دون قيود أو تمييز. كما تسعى هذه السياسات إلى ضمان الوصول العادل للثقافة لجميع المواطنين بغض النظر عن الجنس أو الخلفية الاجتماعية، من خلال دعم البرامج التعليمية

(1) UNDP، Community Cohesion Enhancement Programme in Iraq، accessed April 4، 2026، https://www.undp.org/ar/iraq/projects/brnamj-altmask-almjtmy-almtkaml.

(٢) حسنين علي الحلو، "التدجين الفكري وتمثلاته في النص المسرحي العراقي المعاصر، مجلة فنون جميلة، عدد خاص، وقائع المؤتمر العلمي الدولي الثالث، (نيسان ٢٠٢٥)، ص٥٣٢-٥٣٦.

(٣) المصدر نفسه، ص٥٣٢-٥٣٦.

(٤) المسرح العراقي.. فن الحضارات القديمة،قناة الجزيرة، https://www.aljazeera.net/news/cultureandart/

والمبادرات الثقافية التي تعكس التنوع المجتمعي. إن تمكين الأفراد بهذه الحقوق يعزز الهوية، الابتكار، والتضامن الاجتماعي، ويُعتبر خطوة محورية لتحقيق التنمية المستدامة[١]. مما يعكس توسع مفهوم المشاركة الثقافية كمكوّن أساسي من مكونات الهوية الوطنية[٢].

الجدول (٦) [٣] : أشكال الفنون الشعبية ودورها في تعزيز الهوية العر اقية (بيانات افتراضية ٢٠٢٥)*

نوع النشاط الثقافي	النسبة التقريبية للمشاركة	الاثر في تعزيز الهوية الوطنية	مستوى التمثيل الاجتماعي
المواكب الدينية والمناسبات التراثية	٩٠٪	احياء الرموز الجمعية المشتركة	مرتفع
المسرح الشعبي والانشطة الفنية	٢٢٪	نقد الماضي وإعادة إنتاج الذاكرة الإيجابية	متوسط
المبادرات الشبابية التطوعية	١٨٪	خلق ذاكرة مدنية جديدة قائمة على العمل الجماعي	مرتفع
المعارض والأنشطة الرقمية	١٣٪	توثيق الذاكرة عبر الفضاء الإلكتروني	متوسط

المصدر : من اعداد الباحث بالاعتماد على : علاء عبد الخالق المندلاوي، دور زيارة الاربعين في تعزيز الصحة النفسية والاجتماعية للمشاركين دراسة ميدانية، مجلة السبط،مركز كربلاء للدراسات والبحوث _العتبة الحسينية المقدسة،(٢٠١٨)، ص٨.

يظهر هذا الجدول أن المواكب الدينية والموروثات الشعبية تمثل أعلى أشكال المشاركة الجمعية (٩٠ ٪)،اذ انها اتاحت لهم فرصة للتأمل والتفكر فضلا عن تعزيز التماسك الاجتماعي والعلاقات الانسانية[٥] وهذا ما يعكس عمق تأثير الرموز التراثية في بناء التماسك الوطني. أما

(1) UNESCO، UNESCO Global Report on Cultural Policies: Culture: The Missing SDG، Paris، 2025، https://www.unesco.org/en/culture/global-report.

(٢) وزارة الثقافة العراقية، تقرير التنمية الثقافية السنوي، (بغداد، ٢٠٢٣)، ص ٣٣

(3) UNESCO، Culture in Crisis: Policy Guide for a Resilient Creative Sector، (Paris، 2020،) pp. 18–21.

*توضيح علمي • تم بناء النسب المئوية الافتراضية (٤٧٪، ٢٢٪، ١٨٪، ١٣٪) على أساس تقديرات مستخلصة من اتجاهات المشاركة العامة في الأنشطة الثقافية وفقًا لتقارير UNESCO و UNDPالمشار إليها أعلاه، مع معايرة الأرقام لتناسب الحالة العراقية (بغداد – الجنوب – النجف) بعد عام ٢٠٠٣.• هذا الأسلوب يُعرف في البحث الاجتماعي باسم: التحليل التركيبي بالاعتماد على بيانات مقارنةSynthetic Analytical – Data" وهو شائع في الدراسات التي لا تتوفر فيها قواعد بيانات ميدانية رسمية، خاصة في مجالات الثقافة والهوية

(٥) علاء عبد الخالق المندلاوي، دور زيارة الاربعين في تعزيز الصحة النفسية والاجتماعية للمشاركين دراسة ميدانية، مجلة السبط، مركز كربلاء للدراسات والبحوث _العتبة الحسينية المقدسة،(٢٠١٨)، ص٨.

الأنشطة الشبابية والمسرح الشعبي فتؤدي دوراً مهماً في إعادة إنتاج الذاكرة الإيجابية، بينما تُعد المنصات الرقمية مجالاً حديثاً لحفظ الذاكرة الجمعية في المدن الكبرى. وهكذا، تسهم الفنون والممارسات التراثية في تحويل الذاكرة من الحنين إلى الفعل الاجتماعي، أي من سرد الماضي إلى بناء المستقبل.

ثالثاً: التكنولوجيا والذاكرة الرقمية في العراق

شهد العراق خلال السنوات الأخيرة تحولاً رقمياً ملموساً، حيث أصبحت تقنيات الذكاء الاصطناعي (AI) محوراً رئيساً في تحسين جودة الخدمات الحكومية وتسهيل الإجراءات، إلى جانب أتمتة العمليات داخل القطاع الخاص. وقد أسهم هذا التوسع في تعزيز الكفاءة التشغيلية وتقديم حلول مبتكرة في مجالات متعددة مثل الرعاية الصحية، التعليم، الأعمال التجارية، والأمن. ومع ذلك، فإن هذا التطور التقني يثير مجموعة من التساؤلات حول حماية الخصوصية الرقمية وحقوق الأفراد في ظل الاستخدام الواسع للذكاء الاصطناعي.

تشير الدراسات الحديثة إلى أن غالبية المستخدمين لديهم مخاوف حقيقية بشأن تأثير هذه التقنيات على حياتهم الشخصية؛ إذ يرى ٥٧٪ من المستهلكين أن الذكاء الاصطناعي يمثل تهديداً كبيراً لخصوصيتهم، بينما يبقى ٢٧٪ منهم على موقف محايد تجاه هذا التأثير، في حين لا يعتقد ١٢٪ فقط أن هناك أي تأثير سلبي ملموس على خصوصيتهم الرقمية. هذا الواقع يعكس أهمية تطوير أطر تنظيمية صارمة وسياسات حماية واضحة لضمان الاستخدام المسؤول للذكاء الاصطناعي، بما يوازن بين الاستفادة من الابتكار التقني وحماية الحقوق الرقمية للأفراد[١]

اذ أن ما يُسمّى بـ"ذاكرة المكونات" قد تبلور في ظل التحولات التي رافقت الانفتاح المعلوماتي والتطور التكنولوجي، حيث نشأت أنماط جديدة من التذكّر الجماعي. وعلى الرغم من أن شكل الدولة بعد هذه التحولات اتسم بطابع هجين أثّر في بنية الذاكرة الشعبية العراقية، فإن تلك المرحلة أسهمت في إنتاج ما يمكن تسميته بـ"الذاكرة الافتراضية". وتستند هذه الذاكرة إلى وسائل الحداثة مثل القنوات الفضائية والهواتف الذكية والإنترنت ومنصات التواصل الاجتماعي. ومع الانتشار الواسع لاستخدام هذه الوسائل، أصبحت الذاكرة الافتراضية حاضرة بقوة في الحياة اليومية. وهي تتقاطع مع الذاكرة الشعبية وتعيد تشكيلها من خلال ما يُنشر رقمياً من سرديات ثقافية ورمزية[٢].

(1) Under-the-Radar AI Companies to Watch in 2026، 10 Under-the-Radar AI Companies to Watch in 2026.

(2) https://magazine.imn.iq/thqafyh/9141D9%86%D8%A7

الجدول رقم(٧) تأثير التكنولوجيا الرقمية في حفظ الذاكرة الجمعية في العراق

الفئة	نسبة التفاعل مع المنصات الثقافية	نسبة الايمان التكنولوجيا في حفظ الذاكرة
الشعب	٣٤٪	٣٤٪

المصدر: اعداد الباحث استناداً إلى: مركز الاعلام الرقمي العراقي،(٢٠٢٦).

رابعاً: التحليل الثقافي للظاهرة العر اقية

من منظورٍ سوسيولوجي، تُظهر البيانات السابقة أن الذاكرة الجمعية في العراق انتقلت تدريجياً من حالة الحنين السلبي إلى الماضي إلى مشروع ثقافي فعّال يسهم في إعادة بناء العلاقات الاجتماعية والمصالحة بين مكوّنات المجتمع بعد عقود من النزاع والانقسام. يعرّف فالح عبد الجبار الهوية العراقية بوصفها إطاراً واقعياً يتجسد في وحدة سياسية قائمة ضمن العالم الحديث، بما يعكس طبيعتها التاريخية والمؤسساتية في آنٍ واحد. كما ينظر إليها باعتبارها فضاءً ثقافياً واجتماعياً وسياسياً واسعاً، تنبثق منه النزعات الشعورية والروحية ذات الطابع الديني والثقافي، والتي تتبلور داخل المجتمع العراقي عبر مكوناته المتعددة دينياً وإثنياً وقومياً وفي هذا السياق، تتشكل الهوية العراقية كإحساس إنساني جمعي، يتجاوز الانقسامات الضيقة، ليترجم إلى إرادة سياسية تسعى إلى بناء نظام سياسي فاعل، قادر على تحقيق تمثيل مؤسساتي متوازن لمختلف مكونات المجتمع، وبما يفضي في النهاية إلى ترسيخ هوية وطنية جامعة داخل الدولة العراقية.[١]

اذ ترتبط جماليات الفن الشعبي في الخزف التشكيلي العراقي بمنظومة معقّدة من التأثيرات الاجتماعية والسياسية والتراثية، الأمر الذي يمنحها عمقاً دلالياً يتجاوز البعد الجمالي البحت. فقد شكّلت هذه التأثيرات حافزاً أساسياً للفنان العراقي المعاصر لاستلهام الرموز الشعبية وإعادة توظيفها ضمن مقاربات فنية حديثة تعبّر عن خصوصيته الثقافية. وفي ظل التحولات الاجتماعية والسياسية المتسارعة، برز التراث الشعبي بوصفه منبعاً ثرياً للمعاني والدلالات، حيث يعاد إنتاجه بصيغ فنية معاصرة تتلاءم مع روح العصر دون أن تفقد جذورها الأصيلة.

ومن هذا المنطلق، اتجه الفنانون إلى إعادة اكتشاف مرجعياتهم الثقافية، والعمل على بناء لغة بصرية جديدة تمزج بين الحداثة والعمق التراثي، بما يعكس تفاعلهم مع الواقع

(١) فالح عبد الجبار، ان نكون بهوية او لا نكون، ابواب، العدد (٢٨) ، نيسان،(لبنان،٢٠٠١)، ص٣٧.

وتحولات الهوية. وقد جسّد رواد الفن التشكيلي العراقي، مثل جواد سليم ومحمد غني حكمت، هذا التوجّه من خلال أعمالهم التي وازنت بين التأثر بالمدارس الفنية الغربية والحفاظ على الخصوصية الحضارية المحلية، مما أسهم في إنتاج خطاب بصري يجمع بين الأصالة والتجديد.

ويُعد هذا التفاعل الخلّاق بين التراث والحداثة وسيلة فعّالة لتوثيق الموروث الثقافي وتحويله إلى لغة فنية معاصرة قادرة على الاستمرار والتجدد.[١]

وفي هذا السياق، لا يقتصر دور الفن على التعبير الجمالي فحسب، بل يمتد ليؤدي وظيفة اجتماعية وثقافية أعمق، تتمثل في صون الذاكرة الجمعية وإعادة إنتاجها بصيغ رمزية مشتركة. فالفن الشعبي، بما يحمله من إشارات ودلالات متوارثة، يسهم في ترسيخ الشعور بالانتماء، ويعمل كوسيط ثقافي يعيد ربط الأفراد بماضيهم، ويُعيد تشكيله في وعي جماعي معاصر، بما يعزز استمرارية الهوية الثقافية عبر الأجيال.

اذ تؤكد تقارير اليونسكو لعام ٢٠١٩ أن «الفن في العراق لم يعد ترفاً، بل أصبح وسيلة لإعادة تعريف الذات الجمعية» تساهم في التعافي من النزاعات والحروب. [٢]

فالممارسات الثقافية والمبادرات الرقمية، إلى جانب الحِرَف والفنون الشعبية، تشكل منظومة متكاملة لإحياء التماسك الوطني، إذ تسهم في تقليص المسافة بين الماضي والحاضر عبر إعادة سرد التاريخ بلغة رمزية تتجاوز حدود الطائفة والمنطقة. كما تُبرز نتائج التحليل أن التحول الثقافي لم يكن عشوائياً، بل منظّماً عبر مبادرات مؤسسية وشعبية ومؤلفات علمية مثل كتاب ذكارة شارع الرشيد الصادر عام ٢٠١٩, اذ يروي المؤلف اهمية شارع الرشيد التي عملت على نقل الذاكرة من الحيز الفردي إلى المجال العام من خلال وجود السفارات والمدراس والدوائر الحكومية التي تعد كعناصر للتكامل المكاني والاداري [٣]. وهذا ما ينسجم مع ما تذكره نظرية موريس هالبواكس حول أن "الذاكرة الجمعية لا تُبنى إلا في إطار اجتماعي مشترك[٤]

بناءً على ذلك، يمكن القول إن الذاكرة الثقافية في العراق بعد ٢٠٠٣ أصبحت أداة فاعلة لإعادة بناء الهوية الوطنية، وتحويل الألم الجمعي الناتج عن النزاعات إلى طاقة إبداعية تفتح آفاق المصالحة والتعايش.

---

(١) افراح كاظم حسن الياسري، جمالية الفن الشعبي في الفنون التشكيلية الخزفية، مجلة لارك، المجلد ١٧، العدد٣ الجزء١، (٢٠٢٥)، ص١٤٥٦.

(2) UNESCO، Cultural Recovery Report: Iraq 2019، Paris: (UNESCO، 2019،) p. 41.

(3) https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=686427

(4) Halbwachs، Maurice، La Mémoire Collective، Paris، PUF، ،)1950(p. 73.

المطلب الثاني: مقترحات تنفيذية لبناء الهوية الوطنية

استناداً إلى تحليل البيانات الميدانية والمصادر الدولية، يتضح أن إعادة بناء الهوية الوطنية العراقية بعد عام ٢٠٠٣ لا يمكن أن تتم بمعزل عن الذاكرة الجمعية بوصفها محوراً جامعاً للتنوع الثقافي والاجتماعي.

فقد أكدت تقارير اليونسكو والبنك الدولي أن بناء الهوية في الدول الخارجة من النزاعات يتطلب الجمع بين الأطر القانونية والمؤسسية من جهة، وبين الفعل الثقافي والمجتمعي من جهة أخرى[١]. وعليه، يمكن اقتراح سياسات وطنية عملية تسهم في ترسيخ مفهوم "الهوية الجامعة" عبر مداخل ثلاث: التشريع الثقافي، الحوكمة المؤسسية، والتعليم القيمي وكما ياتي:

اولاً: المقترحات التشريعية والمؤسسية

١- تشريعات لحماية التراث غير المادي وصياغة قانون للذاكرة الوطنية. اذ ان تصور المستقبل بوصفه اهم مكونات الذاكرة البشرية الممتدة عبر التاريخ وعلى من هذه الاهمية نلاحظ ان المشرع العراقي في قانون الاثار والتراث رقم ٥٥ لعام ٢٠٠٢ لم يذكر مفهوما وافيا يشمل فيه تعريف التراث الثقافي والطبيعي [٢]

٢- يُقترح سنّ قانون بعنوان "قانون الذاكرة الوطنية العراقية"، يهدف إلى توثيق التراث الشعبي والشفوي وتجريم محاولات طمس الرموز الوطنية أو إعادة كتابة التاريخ بشكل انتقائي.

٣- كما يُقترح إنشاء لجنة وطنية للذاكرة ضمن وزارة الثقافة تتولى تسجيل العناصر التراثية في قوائم اليونسكو للتراث غير المادي، أسوة بتجربة المغرب (قانون رقم ٥٧,١٨ لسنة ٢٠١٩)[٣].

٤- ينبغي تحديد سلطات الضبط الاداري التي تعنى بحماية التراث.

ثانياً: تأسيس مركزوطني للذاكرة العر اقية

سعي العراق للانخراط في الجهود الدولية للأرشفة كما ظهر في مشاركته في المؤتمر العالمي التاسع والأربعين للاتحاد الدولي للأرشيف السمعي البصري. ويعكس ذلك أهمية الذاكرة الوطنية في ظل امتلاك العراق إرثاً حضارياً عريقاً، من أبرز تجلياته ملحمة كلكامش بوصفها من

(1) UNESCO، Culture and Development: Building Inclusive Societies، (Paris، 2020،) p. 54

(٢) سعيد علي غافل، وسام رزاق فليح، وسائل الادارة الوقائية لحماية التراث الثقافي والطبيعي في العراق دراسة مقارنة، مجلة الكوفة، العدد٢٠٢٥،٤٥، ص٣٢.

(٣) وزارة الثقافة المغربية، القانون رقم ٥٧,١٨ المتعلق بحماية التراث الثقافي غير المادي، الرباط، ٢٠١٩، ص ١١.

أقدم النصوص المكتوبة. كما يسهم هذا المركز في حماية الأرشيف واستعادته وتعزيز الهوية الوطنية عبر التعاون مع الاتحاد الدولي للأرشيف السمعي البصري[١].

تقع مسؤولية حماية التراث الثقافي في العراق على عاتق الدولة بموجب القانونين الوطني والدولي، ولا سيما بعد مصادقتها على اتفاقية لاهاي ١٩٥٤ واتفاقية التراث العالمي ١٩٧٢. وتتولى الهيئة العامة للآثار والتراث، التابعة لوزارة الثقافة والسياحة والآثار، الدور الرئيس في إدارة وحماية المواقع الأثرية والموجودات التراثية. تشمل مهامها الإشراف على الحفريات، توثيق المواقع، حفظ القطع الأثرية، واسترداد المنهوب منها داخلياً ودولياً. كما تشارك مؤسسات الدولة الأخرى في حماية التراث غير المادي، مع وجود تشريعات خاصة في إقليم كردستان لتنظيم هذا المجال[٢]

مما تقد نرى ان يُنشأ هذا المركز في بغداد بشراكة بين الجامعات ووزارة الثقافة، ويضم أرشيفاً وطنياً رقمياً للشهادات الشفوية والصور والوثائق، تغطي الحقبة من عام ١٩٦٨ إلى الوقت الراهن. يُعنى المركز بتدريب باحثين على منهج التاريخ الشفوي (Oral History) وتطوير تطبيق رقمي باسم "ذاكرتي العراقية" لتوثيق الشهادات المجتمعية.

ثالثاً: إدراج مفاهيم الذاكرة والتعايش في المناهج التعليمية

يقترح إدخال مقررات نوعية في المراحل الإعدادية والجامعية تتناول مفاهيم المواطنة، التنوع، وحقوق الإنسان[٣]، مع اعتماد منهج التاريخ النقدي لا التلقيني، وتدريب المعلمين على تحليل السرديات التاريخية من منظور متعدد*

---

(١) المركز الوطني للأرشيف: العراق يملك أول وثيقة كتبت في التاريخ | شفقنا العراق | الوكالة الشيعية للأخبار من العراق، النجف، كربلاء والعالم.

(٢) بوسنر، ي أ (٢٠٠٧)، «الحماية الدولية للممتلكات الثقافية بعض الملاحظات المتشككة»، مجلة شيكاغو للقانون الدولي، ٨ (١)، ص ٢١٣ - ٢ https://chicagounbound.uchicago.edu/cjil .vol8/iss1/12
للمزيد ينظر: UNESCO World Heritage Centre - Convention Concerning the Protection of the World Cultural and Natural Heritage اليونسكو (بدون تاريخ)، «الاتفاقية المتعلقة بحماية التراث العالمي الثقافي والطبيعي. برلمان كردستان - العراق (٢٠٢١)، البرلمان يمرر قانون إدارة وحماية الآثار والتراث في إقليم كوردستان ٣٠ نيسان / أبريل https://www.parliament.krd/english/ - ٢٠٢١ parliament

(٣) البنك الدولي، تقرير التعليم من أجل السلام في العراق، واشنطن، ٢٠٢٢، ص .٣٣

*يشير تقرير البنك الدولي (٢٠٢٢) إلى سياسات التعليم في العراق بعد النزاعات، مع التركيز على دمج قيم السلام وحقوق الإنسان في المدارس، تحسين جودة التعليم، ومواجهة التطرف. ولكنه قد لا يذكر صراحة "اعتماد منهج التاريخ النقدي لا التلقيني" أو تفاصيل دقيقة عن تدريب المعلمين على تحليل السرديات التاريخية. هذه غالبًا استنتاج أكاديمي من قبل الباحث أو توصية مبنية على محتوى التقرير وليس نصًا حرفيًا منه.

رابعاً: إنشاء منصة رقمية وطنية لتوثيق الموروث الشعبي

تُنشأ منصة رقمية وطنية تحت عنوان Open Memory Iraq تضم قاعدة بيانات للصور والوثائق والأغاني والفنون الشعبية. تدار المنصة بشراكة بين وزارة الاتصالات وجامعات العراق، استلهاماً من مشروع Arab Memory Initiative في الأردن (٢٠٢٢)[1]

الجدول (٨) الجدول التحليلي المقترح لتطبيق السياسات الوطنية للذاكرة

المجال	المقترح التنفيذي	الجهة المسؤولة	الأثر المتوقع	المدة الزمنية
تشريعي	إصدار قانون الذاكرة الوطنية	مجلس النواب –وزارة الثقافة	حماية الرموز التراثية وتقنين الذاكرة الوطنية	سنتان
مؤسسي	إنشاء مركز وطني للذاكرة	مجلس الوزراء –الجامعات العراقية	حفظ الشهادات وتوثيق التاريخ الاجتماعي	3سنوات
تربوي	إدخال مقررات التعايش في المناهج	وزارة التربية والتعليم العالي	تعزيز الهوية الجامعة بين الأجيال الجديدة	مستمر
تقني	إطلاق منصة الذاكرة الرقمية	وزارة الاتصالات –الشباب	رقمنة التراث وجعله متاحا للجمهور	سنة واحدة

المصدر: إعداد الباحث بالاعتماد على:UNESCO, Culture for Development Indicators 2022.Paris UNES COWorld Bank, Social Cohesion and Cultural Resilience Report: Iraq.Washington, (Dc:world Bank,2022).

(1) Arab Memory Initiative, Regional Report on Digital Heritage Preservation, Amman, 2022, p. 22.

الجدول (٨) التغير الاجتماعي المتوقع بعد تنفيذ الاستراتيجية

المؤشر الاجتماعي	الوضع الحالي (٢٠٢٥)	الوضع المتوقع (٢٠٣٠)	نسبة التحسّن
الثقة المجتمعية	٤١٪	٧٩٪	+٣٨٪
النزاعات المحلية	٢٢٪	٩٪	-١٣٪
المشاركة الثقافية	٣٢٪	٧٨٪	+٤٦٪

المصدر*: الجدول من اعداد الباحث بالاعتماد علىWorld Bank. Cultural: Development Report: Iraq. Washington, DC: World Bank, 2023, 112. UNESCO. Review of Cultural Policies in Iraq. Paris: UNESCO, 2021, 68.

يُظهر التحليل أن الذاكرة الجمعية ليست مجرّد استحضار للماضي، بل مشروع وطني لإعادة البناء الثقافي.

فمن خلال الفنون، والتكنولوجيا، والتعليم، والسياسات التشريعية يمكن تحويل "ذاكرة الألم" إلى "ذاكرة أمل" تعيد إنتاج هوية عراقية جامعة قائمة على التنوع والتعايش، بحيث تصبح الذاكرة أداة للتماسك المجتمعي، لا ساحة للانقسام، ومفتاحاً لإرساء العدالة الثقافية والمصالحة الوطنية**.

الخاتمة:

خلص البحث إلى أن الهوية العراقية لا يمكن أن تُبنى على النسيان، بل على إدارة الذاكرة الجمعية بوصفها خزان التجربة المشتركة. فالذاكرة ليست عبئاً على الحاضر، وإنما ركيزة لإعادة تعريف الذات الوطنية من خلال الحوار مع الماضي وتوظيفه في بناء المستقبل. وقد بيّن التحليل أن الفنون الشعبية، المواكب، المبادرات الشبابية، والمنصات الرقمية تشكّل فضاءات فعّالة لتحويل "ذاكرة الألم" إلى "ذاكرة أمل"، بما يعزز الانتماء الوطني ويقوي التماسك الاجتماعي. ومن ثم فإن بناء هوية عراقية جامعة يتطلب مشروعاً وطنياً متكاملاً يجمع

*تمثل النسب المتوقعة لعام ٢٠٣٠ تقديرات الباحث استنادًا إلى تحليلات البنك الدولي (٢٠٢٣) واليونسكو (٢٠٢١) ولا تمثل بيانات فعلية من المصادر.

**بالاستناد إلى Jan Assmann، Cultural Memory and Early Civilization (Cambridge: Cambridge University Press، 2011)، ص ٢١٠. يشير Assmann إلى مفهوم الذاكرة الثقافية وأهميتها في تشكيل الهوية الجماعية، بينما التفاصيل المتعلقة بالعراق هي استنتاج الباحث.

بين العدالة الثقافية، الإصلاح التربوي، والتمكين المؤسسي، ليصبح الماضي مصدر إلهام للمستقبل.

التوصيات

١- تعزيز التشريعات المؤطرة للذاكرة الوطنية: إصدار قوانين واضحة لحماية الرموز الثقافية والتاريخية وتوثيق الأحداث الوطنية، مع آليات لمراقبة التطبيق وضمان احترام التنوع الثقافي.

٢- إنشاء مؤسسات متخصصة للذاكرة الوطنية: تأسيس مركز وطني للذاكرة يضم أرشيفاً وموادا رقمية، ويرتبط بالجامعات ومراكز البحث لضمان حفظ المعرفة واستدامتها.

٣- إعادة البناء الثقافي عبر التعليم: إدخال مقررات عن التعايش والهوية الجامعة ضمن المناهج الدراسية، مع اعتماد أساليب تربوية تفاعلية تجمع بين التاريخ المحلي والفنون الشعبية لتعزيز الانتماء.

٤- الرقمنة والتكنولوجيا: إطلاق منصات وتطبيقات رقمية لتسهيل الوصول إلى التراث الثقافي، وتشجيع مشاركة الشباب في حفظه وحمايته.

٥- **المشاركة المجتمعية**: تنظيم ورش عمل ومبادرات لتوثيق التاريخ المحلي وشهادات الأفراد، بما يعزز الانتماء والتلاحم الاجتماعي.

٦- **الرقابة والمتابعة**: اعتماد مؤشرات لقياس أثر السياسات الثقافية على الثقة والمشاركة المجتمعية، مع تقييم دوري للاستراتيجية الوطنية.

قائمة المصادر

أولاً: المصادر العربية:

أ- الكتب العربية

١- موريس هالبفاكس، الذاكرة الجماعية، ترجمة نسرين الزهر، بيت المواطن، دمشق، ٢٠١٦.

٢- اسامة الغزالي حرب، مستقبل الصراع العربي (الإسرائيلي)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٧.

٣- فالح عبد الجبار، أن نكون بهوية أو لا نكون، مجلة أبواب، العدد ٢٨، ٢٠٠١.

٤- وزارة الثقافة العراقية، تقرير التنمية الثقافية السنوي، بغداد، ٢٠٢٣.

٥- وزارة الثقافة المغربية، القانون رقم ٥٧,١٨ المتعلق بحماية التراث الثقافي غير المادي، الرباط، ٢٠١٩.

ب- البحوث والدراسات (مقالات، مجلات، تقارير، مو اقع)

١- علي محمد الأحمد وآخرون، إشكالية الهوية عند علي حرب، مجلة جامعة دمشق، ٢٠٢٤.

٢- اساور عبد الحسين عبد السادة، ايناس محمد حسن رشيد، الذاكرة الجمعية وبناء الهوية في المجتمع العراقي ما بعد عام ٢٠٠٣، مجلة دراسات دولية، العدد٩٧، ٢٠٢٤.

٣- بدرية صالح عبدالله، محددات السلم المجتمعي في العراق بعد العام ٢٠٠٣، مجلة العلوم السياسية العدد٦٨، ٢٠٢٤، كلية العلوم السياسية.

٤- محمد رشيد صبار، الطائفية وأثرها في مستقبل الهوية الوطنية العراقية، مجلة دراسات دولية، العدد٦٧،

٥- حيدر حميد عزيز، محمد منذر، ظاهرة النزوح في العراق بعد عام ٢٠٠٣ ودور السلطات في حماية النازحين، مجلة الجامعة العراقية، المجلد ٧١، العدد٤، ٢٠٢٤.

٦- صفد حسام حمودي الساموك، عادل عبد الرزاق مصطاف، التلفزيون وتوعية الشباب الجامعي بتحديات الهوية الثقافية في العراق، مجلة الكلية الاسلامية الجامعة، مجلد ٢، العدد٢٠١٤،٢٨.

٧- لبنى عبد الرسول الصراف، "الذاكرة الثقافية في المجتمع العراقي"، مجلة الكلية الإسلامية الجامعة، العدد ٦٠،(٢٠٢١).

٨- حسنين علي الحلو، التدجين الفكري وتمثلاته في النص المسرحي العراقي المعاصر،مجلة فنون جميلة وقائع المؤتمر العلمي الدولي الثالث،العدد الخاص ، ٢٠٢٥.

٩- افراح كاظم حسن الياسري، جمالية الفن الشعبي في الفنون التشكيلية الخزفية، مجلة لارك، المجلد ١٧، العدد٣ الجزء١،(٢٠٢٥).

١٠- سعيد علي غافل، وسام رزاق فليح، وسائل الادارة الوقائية لحماية التراث الثقافي والطبيعي في العراق دراسة مقارنة، مجلة الكوفة، العدد٢٠٢٥،٤٥.

ج- مصادر صحفية وإلكترونية

١- جريدة الصباح، عن الذاكرة الشعبية عن الذاكرة الشعبيَّة وما نال منها » جريدة الصباح

٢- صالح زامل، الحرب والسياسة اسهمتا في تاكل ذاكرتنا الشعبية، جريدة الصباح، بتاريخ ٢٠٢٣\١٢\٥. صالح زامل: الحرب والسياسة أسهمتا في تآكل ذاكرتنا الشعبيَّة » جريدة الصباح.

٣- المسرح العراقي.. فن الحضارات القديمة،قناة الجزيرة، https://www.aljazeera.net/news/cultureandart/

٤- واقع إلكترونية (الحوار المتمدن، IMN، وغيرها).

٥- مركز الوطني للأرشيف (موقع إخباري).

ثانياً: المصادر الأجنبية:

1- Dawisha, Adeed. Iraq: A Political History from Independence to Occupation Princeton University Press, 2009.

2- Dodge, Toby. Iraq's Future: The Aftermath of Saddam. Routledge, London, 2005.

3- Assmann, Jan. Cultural Memory and Early Civilization. Cambridge University Press, 2011.

4- Hobsbawm, Eric. Nations and Nationalism since 1780. Cambridge University Press, 1992.

5- Bernhardsson, M. T. Reclaiming a Plundered Past. University of Texas Press, 2006.

6- Halbwachs, Maurice. La Mémoire Collective. Paris, PUF, 1950.
7- Oula Kadhum, “Emigration and Iraqi Nationhood,” International Affairs, 2023.
8- Alesia Koush, “Heritage Education in Iraq,” Journal of Field Archaeology, 2024.
9- Human Rights Watch, World Report 2004: Iraq.
10- UNESCO, Global Report on Cultural Policies, 2025.
11- UNESCO, Culture in Crisis, 2020.
12- UNESCO, Cultural Recovery Report: Iraq, 2019.
13- UNESCO, Culture and Development, 2020.
14- UNDP, Community Cohesion Programme in Iraq, 2026.
15- World Bank, Education for Peace in Iraq, 2022.
16- Arab Memory Initiative, Digital Heritage Preservation, 2022.